تعرية الجسد..

ثلاث ادارات وخمس حروب

بشرى الهلالي

إستطاع مارك دانر إضافة لمسة أوربية على الادب الامريكي: بالإضافة إلى قدرته على نبش الحقائق والحصول على القصص كمراسل، فإنه يكتب عن الوضع السياسي والحياتي لبلاده بنية خالصة في تغيير جوهري في السياسة العامة. انه لا شيء إن لم يكن طموحا، فالى جانب لغته الخطابية وأفكاره الوطنية تضمنت كتاباته العلاقات الدولية، الصحافة السردية، كتابة مقالات الرأي، وحتى النقد الأدبي. "تعرية الجسد: سياسة الحرب والعنف" هو عنوان مجموعته الجديدة من المقالات التي تمتد في عقدين من الزمن، والتي تستعير إسلوب الكثير من أعمال نظرية مابعد البنيوية. أثار دانر في الآونة الأخيرة زوبعة من النقاشات حول التعذيب والحرب على الارهاب، ونبرة أعماله فيها نبرة من الخطورة عبرت إختصاصه كمراسل صحفي.

بدأ دانر عمله كصحفي في مجلة، وتميز بموهبة نادرة في نقل التقارير والقصص الإخبارية التي وثقها في سلسلة من ثلاثة أجزاء، نشرت أصلا في صحيفة نيويورك تايمز في عام ١٩٨٩، والتي تزامنت مع نهاية حكم دوفالير في هايتي والسنوات المضطربة التي سبقت انتخاب جان برتران أريستيد رئيسا للبلاد. قد تبدو هذه الأحداث اليوم بعيدة وغير ذات أهمية، أما في ذهن دانر الكاتب، فقد ظل دوفالييه الحاكم السابق لهايتي كابوسا.

ما الذي يثير اهتمام دانر في هايتي وغيرها من البلدان التي شهدت وحشية الحروب والإرهاب كالبوسنة والعراق؟ لقد أجاب عن ذلك بوصفه: "أليس هم الناس؟" فبخلاف القادة الذين جرت مقابلتهم، غاب الغالبية من الناس وظل مشهد العنف السياسي حاضرا.

لقد كرس القليل من التفاصيل للجثث المشوهة التي تظهر بين عشية وضحاها حول بورت أو برنس، وكرس آلاف الكلمات المنمقة للتاريخ الذي أدى إلى سيادة قوانين القتل التي حكم بها دوفالير. عنوان كتاب دانر يشير الى الفظائع التي تحدث في كلا أحشاء المجتمع وهيكل السلطة.

بعد عمله في هايتي، وبحثه عن وحشية الجيش السلفادوري في بداية ١٩٨٠ (شغلت القصة آنذاك صفحات من مجلة نيويوركر خلال عام ١٩٩٣ ونشرت ككتاب "مذبحة في إل موسوته")، تحول دانر من كونه صحفيا ينقل التقارير التي يشاهدها بعينه الى كاتب سردي. الجزء الثاني من "تعرية الجسد" يتكون من سلسلة من المقالات نشرت أول مرة في عرض الكتب في صحيفة نيويورك تايمز، لتغطي حروب البلقان في ١٩٩٠ بعد وقوعها. أما القسم الرابع والأخير، فقد ضم مقالات عن الحرب على الارهاب في العراق، إعتمد دانر فيها على قراءة دقيقة لوثائق لم تكشف عنها التقارير الصحفية. تقرير تاغوبا عن سجن أبو غريب، مذكرة داوننغ ستريت التي تم فيها التخطيط لغزو العراق إضافة الى ملاحظاته الشخصية. فقد قام بزيارات عدة الى العراق، ولكن خلافا لهايتي، كانت تقاريره مثارا للجدل أكثر من كونها نقلا للمعلومات.

ولم تكن مقالات دانر الطموحة لتخدمه على مستوى الصحافة، فقد طرأ على إسلوب كتابته ميل نحو المبالغة وتضخيم الحدث: حيث ظهر الكثير من الفعل الدرامي الذاتي في جمله مثل "مدينة مدمرة" أو "فوضى دموية من أشلاء الجثث"، مما يعيد جورج كينان، أو هنري جيمس إلى الاذهان. هذا التكلف الأدبي إزداد مع زيادة قدرته على رؤية دواخل الأمور متضمنا عناوين مألوفة مثل "الانتخابات الحقيقية" و "أبو غريب: المخفي في مرمى البصر".

عندما اصطف الهايتيون للتصويت في وسط أعمال عنف عام ١٩٨٧، أجرى دانر مقابلات مع قادتهم السياسيين مبديا إعجابه الشديد بشجاعتهم؛ وعندما فعل العراقيون الشيء نفسه في عام ٢٠٠٥، ذهب دانر الى هناك باحثا عن "المبررات الرمزية المطلوبة، وكانت موهبته القصصية قد تكاملت في بنائها في ذلك اليوم". شاهد دانر كفاح الإنسان وبؤسه فلم يقاوم رغبته في كتابة مقال عن إمرأة كوسوفية شابة شبهت مقتل عائلتها في انفجار بما حدث لليهود في الحرب العالمية الثانية، ما دفع دانر للتساؤل "هل كان ماحدث لليهود وأثار أوربا ودفعها للإحتجاج في العام ١٩٤٠ هو أكثر تأثيرا من أحداث كرواتيا والبوسنة في ١٩٩٠؟"

موقف دانر هذا لم يتغير حتى عندما يناقض نفسه، فهو يتنقل من انتقاده الى قبوله لقرار رفض الرئيس بوش الأول الاطاحة بصدام حسين في نهاية حرب الخليج، ويبدو كمن يستنكر عقيدة باول و يكرسها في الوقت نفسه، ويستمرفي سعيه حتى بعد إن وقع بين يديه تقرير الصليب الأحمر حول التعذيب من جانب ادارة بوش التي تمخض عنها أفضل ماوجد في الكتاب من مقالات ليظهر صوت المراسل لمرة أخرى، وقد توقف عن المبالغات الأدبية محققا توازناً واضحاً بين الواقع والخيال.

معظم الكتاب هو كشف لا هوادة فيه للنفاق الأمريكي، للضعف والوهم عبر ثلاث إدارات وما لا يقل عن خمس حروب. وتشريح دانر لفساد اللغة الحكومية عميق "انه عالم كبير من الكذب الرسمي، مع وثائق لا حصر لها على ما يبدو في متناول اليد". وتشريحه لواشنطن يتم من خلال صربيا والبوسنة والعراق. وحيث إن دانر الكاتب لم يهتم بفهم هذه المجتمعات بالطريقة التي قام بها دانر المراسل في هايتي، فالعنف لا محالة هو تعرية لنظمها. فبدون القصص الفردية أو التحليل السياسي الذي يرافق الوصف المرعب (والمتكرر)، لن يكشف العنف شيئا، سيكون مجرد عنف.

في مقدمته، يقتبس دانر من أفلاطون حول عدم مقاومة النظر الى جثث الموتى، ومن ثم يكتب: "العنف يصيبنا بالذعر، يطعننا، يدير العين ويلهب المشاعر، تغلب عليه الرغبة، ليس لدينا أي خيار سوى أن ننظر" ولكن رغبة دانر لا يبدو أنها نابعة من أي صراع، فهي ليست متأتية من كونه لا يملك خيارا سوى النظر، بل من كونه لا يرغب بالنظر الى أي مكان آخر. واستراق النظر قد يقود الى رؤية الفوضى مباشرة. لقد وصل دانر الى سوق سراييفو تقريبا فور سقوط قذيفة هاون: "نحن الثلاثة عبرنا على تضاريس دامية، تتبعنا طريقنا ببطء عبر جذوع أشجار من الماضي، عبرأسلحة قديمة وأجزاء متناثرة من الأيدي والأطراف وكتل اللحم التي إختلطت بالمعادن المسودة والخضروات المدمرة". إغتنم دانر الفرصة لمحاولة احصاء عدد الضحايا، لكنه أحبط من حقيقة انها قطع كثيرة جدا بحيث يصعب معرفة أية ساق قد تلحق بأي رأس(إحباط تكرر عدة مرات في مجموعته). في المقدمة، يكشف دانر عن إدراكه لكون التعذيب شاغله الرئيسي في كتاباته منذ دراسته في الكلية، وفي الخاتمة، يعترف "بشغفه السري لنتائج العنف"، حتى لو كان في ذلك موته شخصيا. واستخدام مشاهد التعذيب وتقطيع الأوصال،التي صورت في لوحات أدبية مؤلفة بعناية، جاء كعامل جذب يدل على شجاعة المؤلف، وكعمل الفنان تحمل الكثير من المضامين للتفسير. ولكن بالنسبة لكاتب عرف بمواقفه الإخلاقية الوطنية المعتادة سيكون بمثابة إشكالية.

نشر دانر معظم هذا العمل في مجلات ليبرالية، ولكن بطله كان كينان، صاحب نظرية الحرب الباردة في الاحتواء وليس ليبرالية بالمعنى المعاصر. كينان كان قليل الصبر بالنسبة للأخلاق و الإخلاقيات في السياسة الخارجية؛ رؤيته، محصورة في معارك بيروقراطية منذ ٦٠ عاما، تقودها رغبة في إيجاد توازن القوى بين المصالح الوطنية المفسرة تفسيرا ضيقا. بينما يبدو دانر واقعيا، حتى انه كتب ٣٠ صفحة ضد توسع حلف شمال الأطلسي في أوروبا الشرقية في ١٩٩٠، وهو موقف تمسك به كينان. وجهة النظر هذه خدمت دانر جيدا في إنتقاده بعيد المدى للسياسة الخارجية لجورج دبليو بوش، خصوصا في العراق، وبما في ذلك موافقة الرئيس بوش على التعذيب: "ما نستطيع قوله بشكل قاطع هو أن القرار قد يضر المصالح الأمريكية بشكل واضح تماما".

ولكن ماذا عن البوسنة؟ هذه هي الحرب التي تقود دانر الى القلق المجهول، وتكشف عن انقطاع في صميم عمله. كتب دانرما يعادل كتاباً كاملاً يدين فشل أميركا في التدخل في البوسنة. في نقاط مختلفة، دخل في نقاشات حول حجج التدخل الأمريكي، مناطق النفوذ، والحلف الأطلسي. ورغم إن حججهم تبدو واقعية، إلا إنها ضعيفة إلى حد ما، القليل من الواقعيين يأخذون بها. والمبرر الأكثر قوة هو ذلك الذي يستند إلى أسباب أخلاقية، وفي حساب دانر يسقط هذا المبرر بالنظر الى الكم الهائل من الأعمال الوحشية.

كيف تُصبح روائياً؟

١٣ طريقة للتأمل في مستلزمات الرواية

ترجمة: عادل العامل

جين سمايلي، كما يقول جوناثان بيت في عرضه هذا، روائية وافرة الانتاج من الشرق الأوسط الأمريكي، مشهورة بـ (ألف فدّان A Thousand Acres)، العمل الذي أعادت فيه كتابة قصة شكسبير المعروفة (الملك لير)، مروية من وجهة نظر البنات. وقبل سنوات قليلة وجدت نفسها تعاني من حالة شديدة من احتباس الكتابة، و لهذا قررت أن تتوقف عن الكتابة و تبدأ بقراءة ١٠٠ رواية بدلاً من ذلك!

ويبدو هذا الأمر علاجاً باعثاً على الاستغراب أو الفضول. وربما تكون قد فكرتَ، عزيزي القارئ، بأن قضاء الواحد لوقته مع أفضل الأعمال الأدبية المكتوبة على الإطلاق سيؤدي فقط إلى التسبب في سوء إحساسه بفجاجة ما يكتب هو. لكن علاج القراءة هذا قد نفع مع الكاتبة سمايلي، التي أفلحت أخيراً لا في إكمال روايتها فقط، بل و في تحويل تجربتها هذه إلى كتاب بعنوان (ثلاث عشرة طريقة للتأمل في مستلزمات الرواية).

والكثير من أفضل أعمال سمايلي القصصية يدور حول الجياد، بينما كتابها اللاقصصي هذا جوادٌ ذو تشكيلة منوعة من الإيماءات. و النصف الأمامي سلسلة من الفصول حول تاريخ و تقنيات الرواية، أما النصف الخلفي فيتألف من مقالات تتعلق بمئة كتاب.

والمشكلة مع النصف الأخير هي أن سمايلي تبدو غير قادرة على تقرير ما إذا كانت المقالات من أجل فائدة أناس قد قرأوا الروايات و يريدون شيئاً من التحليل النقدي الذي يُعمّق فهم آلياتها أو ما إذا كانت ذائقات قُصد بها إلهام القرّاء التعامل مع رَوائع أدبية لم يجرأوا على المغامرة عندها.

و قد خصصت المؤلفة صفحات كثيرة للتحدث عن موجز الحبكة، و هو الشيء الذي يخبر الواحد طلابه على الدوام بتجنبه على أساس أن أولئك الذين قرأوا الكتاب سيعرفون الحبكة في حينه و الذين لم يقرأوه لا يريدون الحبكة مفسَدة.

ووفقاً لسمايلي ×، فإن الشكل له خمس خصائص: أن الرواية (١) مطوّلة، (٢) مكتوبة،، (٣) نثر (٤) سرد، فيه (٥) بطل protagonist. و ما يمكن أن يرد به الواحد: (١) كم هو طول القطعة من السلسلة؟ إن (قلب الظلام) للروائي الانكليزي جوزيف كونراد طولها ١٠٠ صفحة، (كلاريسا) لريتشاردسون ٢،٥٠٠. و كلاهما من بين أعظم الروايات في اللغة الانكليزية (و لو أن سمايلي، لأمرٍ محيّر، لا تجعل من ضمنها كلاريسا و إنما رواية ريتشاردسون الأقل شأناً بكثير و المضجرة نوعاً ما، باميلا). (٣) إن الكثير من الروايات قد كُتب شعراً، لا نثراً. و المسلّم به، أن الكثير منها ليس جيداً كثيراً. (٥) و البطل protagonist هو مصطلح من الدراما اليونانية القديمة، و يعني المثل أو الفاعل actor الأول و من هنا فهو الشخصية الأمامية.

لكن لبعض الروايات شخصيتين أماميتين أو مهمتين: ألينور و ماريان في (الحس و الحساسية Sense and Sensibility). أو ربما ست، كما في (الأمواج) لفرجينيا وولف.

و يتبقى لدينا ذلك الخاصيتان (٢) و (٤). إن الرواية سرد مكتوب: و هي ليست مسرحية، و لا ملحمة محكية في الموروث الشفوي. و هكذا، يمكن تتبع أصولها إلى قصص الحب النثرية في الفترة الهيللينية من الحضارة الأغريقية القديمة، و لو إن سمايلي تفضل أن تبدأ بعدها بألف عام، في إيطاليا بديكاميرون لبوكاشيو و في اليابان بحكاية جينجي للسيدة موراساكي. و التأكيد الرئيس يقع، على كل حال، على التقليد الواقعي الذي بدأ مع دانييل ديفو في القرن الثامن عشر و الذي يمتد إلى (الأسنان البيض) لزيدي سمث و (التعويض) لإيان مَكوين، اللتين تصلان به إلى قائمة سمايلي لـ ١٠٠ عمل كلاسيكي. فالرواية، يمكن القول، كقصة بطولية saga عائلية، شريحة من الحياة المعاصرة، التي يلعب فيها المال و الزواج دورين كبيرين. و الرواية، إذا جاز التعبير، كنوع الشيء الذي تكتبه المؤلفة نفسها.

والمشكلة مع معاينة هذا النوع أنه، و رغم التبصرات الممتازة التي تتعزز على طول الطريق (بشأن أشخاص مختلفين أحدهم عن الآخر مثل ترولوب و دوستويفسكي)، فإن الرغبة في الشمولية غالباً ما تؤدي إلى قوائم ذات عاديّة مبتذلة: فالروائيون الذين يهدفون كما يبدو إلى فن رفيع و الذين يزدرون، أو في الأقل، يتجاهلون الإغراء التجاري يتضمنون آيريس مَردوخ (البحر، البحر)، كريستينا ستيد (الرجل الذي أحب الأطفال)، جون غاردنر (غرينديل)، ميلان كونديرا (خفة الوجود التي لا تُطاق)، ويليام غاديس، جوليان بارنز، ويل سيلف، مارتن أميس، جوناثان فرانزين، و آخرين لا حصر لهم.

إن للكتاب عنواناً فرعياً هو (ماذا تقرأ و كيف تكتب). و الفكرة القائلة بأنه من أجل أن تتقدّم تحتاج لأن تتزوّد بـ ١٠٠ رواية كلاسيكية ـ أو في الأقل عناوينها و ملخصات لحبكاتها ـ هي فكرة أمريكية جداً، كما هو المفهوم الذي مفاده أن بالإمكان تعليمك كيف تكتب رواية. و يمكن القول إن الفصلين الموجزين الخاصين بالنصيحة العملية الموجهة إلى الروائيين الناشئين هما الشيء الأكثر قيمة في ما يتعلق بالكتاب.

وهنا مشورة سمايلي محددة باختصار. فالتوصية بالتهجئة، و التنقيط و الفوارز و غيرها من العلامات، و النحو السليم أمور يجب أن تكون غريزية instinctive أكثر من كونها شيئاً يُكَفح من أجله ـ إنها مرادف المؤلف الذي يعرف المعايير. فالأنانة ×× و الانغماس في الذات يجب تجنبهما هنا مهما كان الثمن: فالأفضل أن تخرج و تقوم بشيء من البحث في البيان××× الذي يُكون ملائماً للرؤية العالمية لكل واحدة من شخصياتك. واعمل على إيجاد التوازن بين الحبكة و الشخصية، حركة الأحداث action و الانعكاس. و أوجد وجهة النظر الصحيحة لقصتك: الشخص الأول، الثالث أو التقنية المحببة في الكتابة بصوت الشخص الثالث لكن من خلال عيني شخصية معينة. و اضرب بمسودتك على الطاولة و اجلس لتقوم ببعض التنقيحات المهمة. وإذا ما حصل لديك احتباس أو توقف مما يحدث للكتّاب، فخذ لك رشّة ماء في الحمام وعد إلى طاولة الكتابة!

عن / Telegraph

الإشارات:

× الترقيمات هنا تتعلق بخصائص الشكل الروائي، وفيها تقديم وتأخير، وفقاً لما جاء في هذا العرض للكتاب.

×× الأنانة solipsism: نظرية تقول بأن لا وجود لشيء غير الأنا.

××× ويعني به الأداء أو أسلوب الكلام.

خارج العاصمة

الطبيعة المعادية

محمد خضير

صخرة تدحرجت من سفح جبل، اعترضت طريق سيارة الدفع الرباعي، المظللة النوافذ، بين أربيل و السليمانية. توقفت السيارة وترجل ركابها الغرباء إلى جانب الصخرة. كان اعتراض الطبيعة بليغاً وحازماً، أرسلتْ شاهداً جهما يبلغ الغرباء أفعال الحرب التي سكنت الجبال واغتصبت سلامها وجمالها طيلة النصف الثاني من القرن العشرين.

ما زال الوجه الصخري المتدحرج يعترض طريقنا، يذكرنا بتدمير الطبيعة العذراء المسالمة، بالغارات المستمرة على فلول ال PKK، بالهجوم على مرتفعات وادي سوات ووزيرستان، بقصف قرى الحوثيين في جبال صعدة. الطبيعة المحايدة ترد على العنف السياسي للحكومات والجماعات المسلحة بعنف مضاد، تطل من قشع الدخان والغبار بتكشيرة معادية. لا ينعكس العداء على وجه الطبيعة الصلد فقط، وإنما ينحدر إلى بنية المدن التي تحيط بها القمم العالية، بل إلى الآلات والعربات التي تنقل مئات الفارين من مناطق القتال. تعدي الطبيعة ما حولها، يسري الوباء إلى الصور التي يبعثها المصورون من هناك، وتنشرها صحفنا إلى جانب الصور الملتقطة لواجهات الوزارات المزعزعة بتفجيرات الأحد والأربعاء في بغداد. الطبيعة الجبلية والطبيعة المدنية تعرضان أحشاءهما المدلقة إلى الخارج، تحاكيان الصرخة الإنسانية المدلعة من لوحات سيكيروس وبوتيرو.

ساير الأدب التصوير في نقل تراجيديا الطبيعة المعرضة للهجوم والتدمير، وسفك دمها المتواصل. كانت الطبيعة مصدر العنف والتمرد والصراع الضاري مع الاستبداد، في روايات التركي يشار كمال. كان سهل (سيليسيا)، موطن يشار الأول، مغطى بالمستنقعات والجذور المتشابكة والنسور والذباب، وكان الفلاحون يحسون بالنصر لانتزاع كل جذر من حقولهم. ثم جاءت الجرارات دفعة واحدة، واقتلعت الجذور، وطردت النسور والطيور والحشرات. هكذا دمرت يد النظام الرأسمالي الجبارة عذرية السهل، وهكذا تغير إيقاع الطبيعة. و((عندما يتغير إيقاع الطبيعة، يتغير إيقاع الحياة)) كما يقول يشار.

أرجع مراراً إلى قراءة (وداعاً للسلاح) كي استطلع لوحة الطبيعة المرسومة بيد همنغواي، المتدرجة الأجزاء، من الجبل إلى السهل والنهر والبحيرة، تدرجات العلاقة بين الملازم الأميركي هنري والممرضة كاترين، المتطوعين في مستشفيات الميدان الإيطالية. خصص همنغواي الجبل لرمي المدفعية النمساوية، والسهل والنهر لتقهقر الجيش الإيطالي، والبحيرة لفرار العاشقين إلى الجانب السويسري. ثلاث متواليات في لحن الحرب، مشتعل ثم داخن ثم خامد كالموت. لوحة متدرجة تحت المطر والعتمة، انسحاب طويل للجنود والمدافع والخيول عبر الحقول الموحلة والجسور المقوضة، الهرب إلى ما وراء جبهة الحرب، ثم النهاية الباردة على سرير بمستشفى في لوزان والعملية القيصرية والموت. لوحة مقطعة الأجزاء لا يربط أوصالها شيء دافئ، وحشة وضياع، وسط طبيعة شتائية عاصفة.

ليت الحكومات وجيوشها وقفت عند هذا الحد من إرهاب الطبيعة والعدوان عليها، فأنت لا تقدّر غضب الطبيعة وردّ فعلها على هذا العدوان. إذا طغى ظلم الطبيعة البشرية على سلام الطبيعة الجغرافية، عادت الإنسانية إلى بداياتها، وتعرّت الغرائز عن حضارتها، وبدا للعيان فجر الطبيعة المولود في روايات الخيال العلمي. وإذا غيرت الطبيعة البشرية خارطتها، وتدخلت مختبرات الشر في تعديل مورثاتها، فقد تنفلت الأوبئة والملوثات والمشوهات، ويظهر جيل من أتباع ماري شلي وروبرت لويس ستيفنسون و.هـ. ج. ويلز. إذا سعت الأمم إلى امتلاك السلاح الذري، وحدثت الكارثة النووية، فقد لا نقرأ ما يقل رعباً من رواية كورماك مكارثي (الطريق)، حيث يسود الظلام والجليد المدن المحروقة، ويتنفس بقايا الإنسان الرماد والغبار المتخلفين عن الانفجار الذري، ويشح الغذاء الذي يتقاتل من أجله قطاع الطرق واللصوص وأنفار من البشر الباقين في العراء الملوث والجيوب الأرضية الخانقة. تنتمي رواية كورماك مكارثي، الحائزة على جائزة البوليتزر عام ٢٠٠٩، إلى نوع من رواية ما بعد الكارثة-Post apocalyptic Fiction (صدرت ترجمتها العربية عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت في الشهر الماضي من هذا العام). إني أثق في العلم وتطبيقاته الخيالية في الأدب، لكني لا أطيق القراءة في مناخ ما بعد الكارثة الخانق، ولا أعرف طبيعة المختبرات (الأبوكالبتية) التي تنتج أمثال هذه الرواية العدوانية. إني أشعر بروبوت جبار يقترب من عنقي.

غير أنه لا مهرب لي من طبيعتي العراقية، فقد اضمحل المنظر الخلوي والإنساني إلى أدنى الحدود، كلما اتجهت جنوباً تحت خط العرض ٣٣ (خط حظر الطيران حواليه في سنوات التسعينيات الماضية). العدوان شامل إلا أنه غير ملحوظ، يتنفسه الإنسان العراقي الجنوبي ويشربه مع الماء الملوث لما بعد الكارثة. وأنا أقرؤه أيضا في النصوص الأدبية الغائبة، التي لن تظهر في المستقبل القريب. لن تبدع طبيعتنا المسالمة روايات كروايات همنغواي وكورماك مكارثي العدوانية، فهي (تنام) و(تقعد) و(تأكل) و(تخرج) و(تدخل) و(تتكاثر) و(تحيا) و(تموت) بسلام وبلهنية. وما يجري من عدوان سافر عليها وتنشر الصحف اليومية صوره على صفحاتها الأول، يُحفظ في أرشيف المستقبل (الأبوكالبتي)، لا أقل ولا أكثر.

المعموري في الخميس الابداعي.. حارس بيت الالواح

محمود النمر

ضمن برنامجه الاسبوعي للاحتفاء بالمبدعين العراقيين،احتفى ملتقى الخميس الابداعي بالباحث المثيولوجي –ناجح المعموري –للحديث عن تجربته الابداعية في مجالات الادب والمثيولوجيا، وقدم الجلسة الشاعر عدنان الفضلي قائلا: مالا يمكن تجاوزه في ابتداء الحديث ان نمسك بأبي وهب من حيث اغنيته الاولى التي اطلقها في قاع ضيق، فوصلت الى حيث (مدينة البحر) وما بينهما كان هذا البابلي يؤسطر الشعر والندى، يرش عليهما الدين والتاريخ وماء النهر الذي دفع به الينا من –شرق السدة–شرق البصرة يوم كان هو تحديدا من عرفنا على –شكر بن العوية وذكرنا ب–قميص يوسف –المضمخ باللون الاحمر الذي جاء به من حيث الاساطير والنصوص المقدسة.

وقال المعموري اثناء حديثه عن هذا الاحتفاء الذي تكرم به وهو تكريم للثقافة العراقية انا سعيد بذلك، وساحاول المرور ببعض المحطات الاساسية والجوهرية في مجال عملي الثقافي والمعرفي، وكيف ابتدأت هذه المغامرة وكانت فعلا مغامرة فيها شيء كبير من المجازفة لاني ابتدأت بمشروعي الاول الخاص بملحمة كلكامش وانجزت ثلاثة كتب اساسية وجوهرية طبعت في مؤسسة المدى في دمشق، صدر منها قبل شهر واحد من هذه الكتب وهو الكتاب الرابع الخاص بالعلاقة المثلية مابين انكيدو وكلكامش، ويرجع الفضل لاثنين من اصدقائي الاعزاء اللذين لعبا دورا مهما في تكريس مفاتيح قراءاتي في المسكوت عنه في ملحمة كلكامش –وملحمة كلكامش والتوراة –وانانا كلكامش شجرة الخانوب –وساعدني بهما الاستاذ عبدالزهرة زكي والاخ العزيز عبدالستار البيضاني عندما كان كل منهما يشتغل على الاشراف على صفحة ثقافية، كانت مجازفة ومغامرة تمكنت انذاك من طرح مفاتيح هذه التوصلات وهي اعتقد لحد الان تمثل ارادة عراقية جديدة ومختلفة عما هو سائد في الدرس الاكاديمي وسبب اهتمامي بالملحمة ليس لانها اول نص ادبي في تاريخ الحضارات، والسبب محاضرة للدكتور عباس الشلاه في ادباء بابل تحدث فيها عن امكانات رؤيا اخراجية لملحمة كلكامش –وهذه الملاحظة وجدت لدي مايشبه الاستفزاز، وجدت ما ساحاول الكتابة عنه وجدت شيئا عن المسكوت عنه وانا اعتقد وربما الاستاذ فاضل ثامر اشتغل على هذا المصطلح ايضا وهذا المصطلح فيه شيء من الاغواء والاغراء للمثقف وهو مصطلح ظل مستمرا منذ لحظة البنيوية ولحد الان وهو متحرك يتقشر ويستدعي مفاهيم لها دلالات ومعان جديدة.

واشار الناقد فاضل ثامر الى اهمية هذه البحوث عند ناجح المعموري: لقد واكبت المسيرة الكفاحية الصعبة التي خاضها وبعصامية عالية هذا المفكر الجميل وهي امثولة مهمة للمثقف العراقي، وعندما اتحدث عن الحالة الاجتماعية هو او الاستاذ موفق محمد اعجب احيانا كيف يكتبان؟ هناك حياة صعبة حتى على مستوى الاقامة والسكن والحياة المعيشية والجهد الذي قدماه كبير، واقترح الناقد فاضل ثامر يجب ان يكون هناك من يدعم هذا المفكر حتى يقدر ان ينتج اكثر من ذلك.

وقرأ الروائي احمد خلف ورقة بعنوان – حارس بيت الالواح –

كل الصفات المرموقة تليق به الخير والجمال والروح السمحاء هي تعابير تولدت منه ومن خطواته الواثقة من نفسها نحو بناء عالمه الذي جعل منه عالم الصفحات الجميلة المؤثرة، لانكف عن ان نعلن اعجابنا به نحن مجموعة اصدقائه الذين تغذينا معه من التربة الطيبة ذاتها التي تمتاز بنقاء السريرة والتفكير الاريحي الذي يدل على فضاء شاسع من المودة التلقائية تجاه الانسان مهما كان وفي اي زمان عاش لذا فانت لن تجد في كل ما ابدعه المعموري من صفحات طوال ما يخدش الروح بالكلام الخشن او العبارة القاسية.

وقال الامين العام لاتحاد الادباء: ان المعموري انسان ينتمي الى الانسانية من حيث الطيبة والاخلاق وقد اختار المركب الصعب وهو الذي يبحث عن امور قديمة عليها اكداس كبيرة من التراب والسنين ويزيح هذه القرون الماضية من هذا المعلم حتى نرى ما الذي يدور في التاريخ، ناجح المعموري كتب في القصة وكتب في النقد ثم تحول الى الاسطورة والملاحم وقد نجح في ذلك واكد على شيء مهم لكون هذا المجال الذي يعمل به المعموري، هو مجال يعمل به ناس محدودون.

كما حث الناقد علي حسن الفواز المعموري على الكتابة والابداع قائلا: ربما بفعل الكثير من التابوات بفعل الكثير من الممنوعات بفعل هيمنة المقدس التقليدي الذي ادخل منطقة الموروث، وبروز باحث غير اكاديمي اشتغل في المنطقة الثقافية على التعاطي من الموروثات، ناجح المعموري واحد من الذين اسسوا لشجاعة او تقاليد شجاعة ثقافية بانه يتلمس هذه المنطقة المحرمة منطقة الموروث وان يعيد ربطها بمنجزات العقل العراقي.

وكان اخر المتحدثين القاص جاسم عاصي: منذ بداية الثمانينيات وبعد اوار الحرب بدأت انتبه الى توظيفات جديدة كان قد اسهم بها الساردون العراقيون، رواية مدينة البحر كانت قد بنيت منذ الكلمة الاولى وحتى نهاية الرواية على اسطورة اللون الاحمر الذي فيما بعد استخدمه بحثا في قميص يوسف، انا اعتقد ان ناجح انتبه مبكرا في هذه الرواية الى اللون الاحمر، فقد تابع هذا اللون منذ بواكير نضج الفتاة القطرة الاولى للطمث،وصولا الى دم الشهادة عبر فيها الى الدم الذي يخصب رحم الام العاقر.